

تفسير البحر المحيط

@ 40 @ يُنْفِقُونَ فِي هَذَا الْوَاوِ الدُّنْيَا كَمَا تَذَلُّ رِيحٌ فِيهَا صَرْصَرٌ
أَصَابَتْ حَرِثًا قَوْمٌ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَأَهْلَكَتَهُمْ { لَمَّا ذَكَرَ تَعَالَى أَنَّ
مَا فَعَلَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ الْخَيْرِ فَإِنَّهُمْ لَا يَحْرَمُونَ ثَوَابَهُ ، بَلْ يَجْنُونَ فِي الْآخِرَةِ ثَمَرَةً مَا غَرَسُوهُ فِي
الدُّنْيَا ، أَخَذَ فِي بَيَانِ نَفَقَةِ الْكَافِرِينَ ، فَضَرَبَ لَهَا مِثْلًا اقْتَضَى بَطْلَانَهَا وَذَهَابَهَا مَجَانًا بِغَيْرِ
عَوْضٍ . قَالَ مُجَاهِدٌ : نَزَلَتْ فِي نَفَقَاتِ الْكَافِرِ وَصَدَقَاتِهِمْ . وَقَالَ مُقَاتِلٌ : فِي نَفَقَاتِ سَفَلَةِ الْيَهُودِ
عَلَى عُلَمَائِهِمْ . وَقِيلَ : فِي نَفَقَةِ الْمُشْرِكِينَ يَوْمَ بَدْرٍ . وَقِيلَ : فِي نَفَقَةِ الْمُنَافِقِينَ إِذَا خَرَجُوا
مَعَ الْمُسْلِمِينَ لِحَرْبِ الْمُشْرِكِينَ . قَالَ الزَّمَخْشَرِيُّ : شَبَّهَ مَا كَانُوا يَنْفِقُونَهُ مِنْ أَمْوَالِهِمْ فِي
الْمَكَارِمِ وَالْمَفَاخِرِ وَكَسْبِ الثَّنَاءِ وَحَسَنِ الذِّكْرِ بَيْنَ النَّاسِ لَا يَبْتَغُونَ بِهِ وَجْهًا بِالزَّرْعِ الَّذِي
حَسَّاهُ الْبَرْدُ فَصَارَ حَطَامًا . وَقِيلَ : هُوَ مَا يَتَقَرَّبُونَ بِهِ إِلَى اللَّهِ مَعَ كُفْرِهِمْ . وَقِيلَ : مَا
أَنْفَقُوا فِي عِدَاوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ) لِأَنَّهُمْ لَمْ يَبْلُغُوا بِإِنْفَاقِهِ مَا أَنْفَقُوهُ لِأَجْلِهِ
انْتَهَى . .

وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةٍ : مَعْنَاهُ الْمِثَالُ الْقَائِمُ فِي النَّفْسِ مِنْ إِنْفَاقِهِمُ الَّذِي يَعْدُونَهُ قَرِيبَةً وَحَسْبَةً
وَتَحْنُثًا ، وَمِنْ حِبْطَةِ يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَكَوْنِهِ هَبَاءً مَنثورًا ، وَذَهَابَهُ كَالْمِثَالِ الْقَائِمِ فِي النَّفْسِ
. مَنْ زَرَعَ قَوْمَ نَبْتٍ وَاحْصِرَّ وَقَوِيَ الْأَمَلُ فِيهِ فَهَبَتْ عَلَيْهِ رِيحٌ صَرْصَرٌ مُحْرِقٌ فَأَهْلَكَتَهُ انْتَهَى .
وَالظَّاهِرُ أَنَّ مَا فِي قَوْلِهِ : مِثْلُ مَا يَنْفِقُونَ مَوْصُولَةٌ ، وَالْعَائِدُ مُحذوفٌ ، أَيُّ يَنْفِقُونَهُ .
وَالظَّاهِرُ تَشْبِيهُهُ مَا يَنْفِقُونَهُ بِالرِّيحِ ، وَالْمَعْنَى : تَشْبِيهُهُ بِالْحَرِثِ . فَقِيلَ : هُوَ مِنَ التَّشْبِيهِ
الْمُرَكَّبِ لَمْ يَقَابِلْ فِيهِ الْإِفْرَادُ بِالْإِفْرَادِ ، وَقَدْ مَرَّ نَظِيرُهُ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى : { مَثَلًا لَهُمْ
كَمَا تَذَلُّ السَّذَى اسْتَوْقَدَ نَارًا } وَلِذَلِكَ قَالَ ثَعْلَبٌ : بَدَأَ بِالرِّيحِ ، وَالْمَعْنَى عَلَى
الْحَرِثِ ، وَهُوَ اخْتِيَارُ الزَّمَخْشَرِيِّ . وَقِيلَ : وَقَعَ التَّشْبِيهُ بَيْنَ شَيْئَيْنِ وَشَيْئَيْنِ ، وَذَكَرَ أَحَدُ
الْمُشْبِهِينَ وَتَرَكَ ذَكَرَ الْآخَرَ ، ثُمَّ ذَكَرَ أَحَدَ الشَّيْئَيْنِ الْمَشْبَهَ بِهِمَا وَلَيْسَ الَّذِي يُوَازِنُ الْمَذْكَورَ
الْأَوَّلَ وَتَرَكَ ذَكَرَ الْآخَرَ ، وَدَلَّ الْمَذْكَورَانِ عَلَى الْمَتْرُوكَيْنِ . وَهَذَا اخْتِيَارُ ابْنِ عَطِيَّةٍ . قَالَ :
وَهَذِهِ غَايَةُ الْبَلَاغَةِ وَالْإِعْجَازِ ، وَمِثْلُ ذَلِكَ قَوْلُهُ تَعَالَى : { وَمَثَلُ السَّذَى السَّذَى كَقَفَرُوا }
كَمَا تَذَلُّ السَّذَى يَنْدَعِقُ } انْتَهَى . وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ عَلَى حَذْفِ مُضَافٍ مِنَ الْأَوَّلِ تَقْدِيرُهُ : مِثْلُ
مَهْلِكٍ مَا يَنْفِقُونَ . أَوْ مِنَ الثَّانِي تَقْدِيرُهُ : كَمِثْلِ مَهْلِكِ رِيحٍ . وَقِيلَ : يَجُوزُ أَنْ تَكُونَ مَا
مُضَدِّيَّةً ، أَيُّ مِثْلُ إِنْفَاقِهِمْ ، فَيَكُونُ قَدْ شَبَّهَ الْمَعْقُولَ بِالْمَحْسُوسِ ، إِذْ شَبَّهَ الْإِنْفَاقَ بِالرِّيحِ .
وَظَاهِرُ قَوْلِهِ : يَنْفِقُونَ أَنَّهُ مِنْ نَفَقَةِ الْمَالِ . وَقَالَ السُّدِّيُّ : مَعْنَاهُ يَنْفِقُونَ مِنْ أَقْوَالِهِمُ الَّتِي
يَبْطِنُونَ ضِدَّهَا . وَيُضَعَفُ هَذَا أَنَّهَا فِي الْكُفَرِ الَّذِينَ يَعْطُونَ لَا فِي الْمُنَافِقِينَ الَّذِينَ يَبْطِنُونَ .

وقيل : متعلق الإنفاق هو أعمالهم من الكفر ونحوه ، هي كالريح التي فيها صر أبطلت أعمالهم كل ما لهم من صلة رحم وتحنثٍ بعثق ، كما يبطل الريح الزرع . قال ابن عطية : وهذا قول حسن ، لولا بعد الاستعارة في الإنفاق انتهى . وقال الراغب : ومنهم من قال : ما ينفقون عبارة عن أعمالهم كلها ، لكنه خص الإنفاق لكونه أظهروا أكثر انتهى . .
وقرأ ابن هرمز والأعرج : تنفقون بالتاء على معنى قل لهم ، وأفرد ريحاً لأنها مختصة بالعذاب ، كما أفردت في قوله : { بَلْ هُوَ مَا اسْتَعْجَلْتُمْ بِهِ رِيحٌ } ولئن أرسلنا ريحاً إنا أرسلنا عليهم ريحاً صرصراً الريح العقيم . كما أن الجمع مختص بالرحمة أن يرسل الرياح مبشرات { * } { وَأَرْسَلْنَا الرِّيَّاحَ لَوَاقِحَ } { يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا } ولذلك روي : { اللّٰهُمَّ * بِيَأَيَّاتِنَا يَجْحَدُونَ * فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ رِيحًا } وارتفاعُ صرّ على أنه فاعل بالمجرور قبله ، إذ قد اعتمد بكونه وقع صفة للريح . فإن كان الصر البرد وهو قول : ابن عباس ، والحسن ، وقتادة ، والسدي ، أو